

بنية التراكيب الإفصاحية في ديوان (أوجاع صفصافة)

للشاعر يوسف وغليسي- دراسة نحوية

فوزية دندوقة¹

جامعة بسكرة (الجزائر)، fz.dendouga@univ-biskra.dz¹

تاريخ الإرسال: 2021/ 10/04 ؛ تاريخ النشر: 2022/06/01

The structure of disclosure structures (awjaae safsafa) of

Youssef Ouaghlissi- a grammatical study

Abstract: This study proceeds from the importance of the formal structure in linguistic studies, and its close connection with meaning. We have chosen the poetry of Youssef Ouaghlissi (awjaae safsafa) as a field for research and study, based on its revealing structures, we stand by description and analysis, and we feel the poet's intention by reading and interpretation.

Keywords: indication; the meaning; intent; Poetry; Disclosure.

الملخص:

تنطلق هذه الدراسة من أهمية البنية الشكلية في الدراسات اللغوية، وصلتها الوطيدة بالمعنى، فبالنظر في الاثنين تنكشف مقاصد المتكلمين وغاياتهم، وقد تم اختيار ديوان يوسف وغليسي (أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار)، مجالا للبحث والدراسة، على تراكيبه الإفصاحية نقف بالوصف والتحليل، وتلمس مقصدية الشاعر بالقراءة والتأويل.

الكلمات المفتاحية: الدلالة؛ المعنى؛ القصد؛ الشعر؛ الإفصاحي.

مقدمة:

تأتي التراكيب الإفصاحية في أسلوب الإنشاء نظيرا للإنشاء الطلي المتمثل في الأمر والنهي والاستفهام والنداء، وإن كان لهذه التراكيب الأخيرة أهميتها البالغة في التعبير عن حاجات المتكلمين وغاياتهم، فإن التراكيب الإفصاحية تأخذ الأهمية ذاتها، والقيمة التعبيرية نفسها، بها يعبر الإنسان عن مدح أو ذم، أو عن تعجب أو قسم أو رجاء، ومن هذا المنطلق جاءت دراستنا لتقف عند التراكيب الإفصاحية في ديوان أوجاع صفصافة للشاعر الجزائري يوسف وغليسي، من خلال دراستها دراسة نحوية تصف بناءها وتركيبها، لتصل إلى معانيها ودلالاتها.

وعلى هذا كان منهجنا في البحث هو المنهج الوصفي بألية التحليل؛ وذلك بالوقوف عند النماذج الشعرية المتوفرة، وقراءتها قراءة وصفية تفسيرية تمكننا من بناء الاستنتاجات العلمية الدقيقة.

وتكتسي هذه الدراسة أهميتها من:

- قيمة الخطاب الشعري للشاعر الجزائري المعاصر يوسف وغليسي، إذ يعد أهم شعراء العصر في الجزائر، نظرا لمساهماته الجادة في إثراء التجربة الشعرية في بلادنا.

- أهمية المدونة الشعرية التي تم اختيارها، وهي ديوان (أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار) الذي يعد خطابا شعريا قويا من

حيث لغته، وحافلا بقوانين الحداثة ومواطن الجمال من حيث
مضمونه.

- أهمية التراكيب الإفصاحية في اللغة العربية ودورها في التعبير عن
الغايات والمقاصد.

- قلة الدراسات اللغوية التي تعنى بهذا النوع من التراكيب، بصفة
عامة، وقلة التراكيب الإفصاحية في الديوان الأنموذج، مما جعل
كثيرا من الباحثين يغفل عنها، ولا يلتفت إليها.

لهذا تم اختيار الموضوع بهدف إضاءة هذا الجانب المغفل من
الديوان، بدراسة التراكيب الإفصاحية في ديوان أوجاع صفصافة
دراسة نحوية. ووصف البنية اللغوية لهذه التراكيب، للوصول إلى
البنية الدلالية، والتأكيد على أهميتها في الكشف عن المعاني
الخفية.

الإنشاء الإفصاحي

يعد الخبر كل كلام يصح أن يقال لقائله أنت صادق أو أنت
كاذب، أما الإنشاء، بعده قسيما للخبر، فهو ما لا يحتمل الصدق
والكذب لذاته، وذلك لأنه ليس لمذلول لفظه قبل النطق به وجود
خارجي يطابقه أو لا يطابقه، والإنشاء قسمان: طلبي وغير طلبي
(إفصاحي)، فالإنشاء الطلبي هو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت
الطلب، وهو أيضا أقسام: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني
والنداء .

أما الإنشاء غير الطلبي فهو ما لا يستدعي مطلوبا، وأقسامه هي: القسم، والتعجب، والرجاء، والمدح والذم، وصيغ العقود (أبو موسى، 1987، ص 185). والفرق بين هذين القسمين، أن الطلبي هو ما يتأخر فيه وجود معناه عن وجود لفظه، فإن أمرت شخصا قائلا له: (أد الأمانة) فإن لفظ الأمر (أد) قد سبق إلى الوجود قبل وجود معناه، أي قبل قيام المأمور بتنفيذ ما أمر به من أداء الأمانة، أما الإنشاء غير الطلبي فهو ما يقترن فيه الوجودان، فلا يسبق أحدهما الآخر، بمعنى أن يتحقق وجود معناه في الوقت الذي يتحقق فيه وجود لفظه، أي في الوقت الذي تم التلفظ فيه بهذا الإنشاء (القزويني، دت، ص 98)، فإذا قال شخص لآخر عرض عليه أمرا: قبلت عرضك، يتحقق معنى القبول في الوقت الذي تلفظ فيه بكلمة (قبلت).

وإذا كان الأسلوب الإنشائي لا يحتمل الصدق والكذب، فذلك بالنظر إلى الأسلوب ذاته، بغض الطرف عما يستلزمه، ودون اعتبار للمتكلم نفسه، وإلا فإن كل أسلوب إنشائي يستلزم خبرا يحتمل الصدق والكذب (عتيق، دت، ص 69، 70)؛ لأنك إذا قلت (اجتهد) فإن قولك يستلزم خبرا يؤول إليه، وهو (أنا طالب منك الاجتهاد)، إضافة إلى أن النظر للمتكلم يجعل الكلام قسما واحدا مع كل متكلم، فإن أُلّف عن الفرد الصدق والأمانة في القول فكل كلام يقوله صادق، وإن أُلّف منه الكذب والتزييف فكل ما يقوله

كذب، وليس ذلك ما يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار في صدق الكلام وكذبه.

ويعني عدم احتمال الإنشاء للصدق أو الكذب أن المقصود بأساليبه ليس هو الحكاية، مع أن وجود النسبتين الكلامية والخارجية اللتين يكون الصدق بمطابقتها والكذب بعدمها قائم فيه، وخلاصة ذلك أن القصد من الجملة الخبرية هو إفادة أن محتواها مثبتا كان أو منفيًا له واقع خارج العبارة يطابق هذا المحتوى، ويوصف الكلام في هذه الحالة بالصدق، أو أن واقعه خارج العبارة غير مطابق له، وفي هذه الحالة يوصف الكلام بالكذب، أما القصد من الجملة الإنشائية فليس إفادة أن محتواها يطابق نسبتها الخارجية، إنما القصد إلى إنشائها، ففي قولك (ليت زيدا يجيء) نسبة كلامية هي تمني مجيء زيد، ونسبة خارجية هي قيام هذا التمني في النفس، والمقصود من هذه الجملة هو إنشاء هذا المعنى (الأنباري، 1995، ص 247).

دراسة نحوية للتراكيب الإفصاحية في الديوان:

القسم

تتميز اللغة العربية عن اللغات الأخرى بأن للقسم فيها منزلة كبرى (عبد الرحيم، 1981، ص 265)، وقد قال صاحب الكتاب إن "القسم توكيد لكلامك، فإذا حلفت على فعل غير منفي لم يقع

لزمته اللام، ولزمت اللام النون الخفيفة أو الثقيلة في آخر الكلمة،
وذلك قولك والله لأفعلن" (سيبويه، دت، 104/3).

وجواب القسم يكون بأربعة حروف: باللام، وإن، وما، ولا،
فاللام وإن للإيجاب، وما ولا للنفي، ولكل واحد من هذه الأدوات
اختصاصه، فاللام تدخل على الاسم والفعل، وإذا دخلت على
الفعل المضارع نقلته إلى الاستقبال، وألزمته النون الخفيفة أو
الثقيلة، وغير ذلك لا يجوز، ليفترق المضارع المقرون باللام في القسم
عنه في الابتداء، وشرط دخول هذه (اللام) على الفعل الماضي
اقترانه بقد.

أما (إن) فتدخل على الاسم دون الفعل، كقولك: والله إن زيدا
منطلق .

وتدخل (ما) على الاسم والفعل، وهي في النفي بمنزلة اللام
في الإيجاب، لأنها تدخل على الاسم والفعل أيضا ، ومثالها قولك :
والله ما قام زيد، والله ما زيد قائما. وتختص (لا) بالدخول على
الفعل، فلا تدخل على الأسماء، وإن دخلت على الفعل الماضي
صيرته للاستقبال، كما يصير المضارع بعدها للاستقبال ويرتفع على
أصله (الصيمري، 1982، 452/1، 453)، إذ تقول: والله لا يقوم زيد.
وحروف القسم أربعة هي الباء، والتاء، والواو، واللام، وهي
مع مجرورها -كما يرى النحاة- متعلقة بالعامل (أحلف) أو (أقسم)

أو نحوهما. و من فعل القسم المذكور أو المحذوف وفاعله تتكون
الجملة الفعلية القسمية (حسن، دت، 498/2).

و"إن قال قائل: لم حذف فعل القسم؟ قيل: إنما حذف لكثرة
الاستعمال، فإن قيل: فلم قلت: إن الأصل في حروف القسم (الباء)
دون (الواو) و (التاء)؟ قيل: لأن فعل القسم المحذوف فعل لازم، ألا
ترى أن التقدير في قولك (بالله لأفعلن) أقسم بالله، والحرف
المعدي من هذه الأحرف هو الباء لأنه الحرف الذي يقتضيه الفعل،
وإنما كان الباء دون غيره من الحروف المعدية لأن الباء معناها
الإلصاق، فكانت أولى من غيرها، والذي يدل على أنها هي الأصل أنها
تدخل على المظهر والمضمر، والواو تدخل على المظهر دون المضمر،
و اختصت الواو بالمظهر والتاء باسم الله تعالى، دل على أن الباء هي
الأصل" (الأنباري، 1995، ص 247)

ولم ترد الجملة الإنشائية القسمية إلا في مواضع قليلة، منها
قوله (وغليسي، 1995، ص 41) (بسيط):

أَفَسَمْتُ أَنْ تُورِقَ الصَّحْرَاءُ فِي وَطَنِي

وَأَنْ تَلُوحَ نُجُومٌ فِي دِيَارِنَا.

وجملة القسم في هذا البيت خالية من المقسم به، إلا أنها تعبير
صريح في القسم، عبر الشاعر من خلاله عن يقين تام بمستقبل زاهر
لوطنه.

أما في قوله (وغليسي، 1995، ص 71):

وَعَشِيقَتِي

قَسَمًا بِرَبِّ الْعِشْقِ وَالْعِشَاقِ قَدْ طَلَّقَهَا!

فقد ذكر، وهو (رب العشق، والعشاق)، والذي لم يذكر في هذه الجملة – كما يرى النحاة – فعل القسم، فقد ناب عنه المصدر (قسما).

وإذا كان حرف القسم هو (الباء) فإن جملة القسم تحذف جوازا، أما إذا كان واحدا من الحروف الثلاثة الأخرى، فإن حذف جملة القسم يصبح في -رأيهم- واجبا (ابن هشام، 1999، 742/2). وذلك في مثل قوله (وغليسي، 1995، ص 61) (بسيط):

مَاذَا جَنَيْتُ عَلَى الْغَرَامِ وَأَهْلِهِ

تَا اللَّهُ مَا .. مَا كُنْتُ إِلَّا عَاشِقًا

والصواب أن هذه الجملة وسابقتها جملتان تامتان، دل المصدر في الأولى على معنى القسم، ودلت الأداة مع لفظ الجلالة عليه في الثانية، ولا حاجة لتقدير فعل محذوف أو لاعتبار الحذف فيهما جائزا مرة، وواجبا أخرى. لأن تمام المعنى يغني عن هذه التقديرات.

التعجب:

وهو تفضيل شخص من الأشخاص أو غيره على أضرابه بوصف يميزه ويجعله فائقا لكل من مائله (ابن فارس، 1994، ص 188)، فهو من المواقع الشعرية الخالصة التي يتوهج فيها إحساس

الإنسان بالأشياء المتميزة، والمعاني المثيرة (أبو موسى، 1987، ص 193)، وللتعبير عن هذا التوهج، وشدة الإعجاب بالأمر المثير يستعمل المتكلم أساليب لغوية كثيرة تحصر في نوعين، أحدهما مطلق لا تحديد-له ولا ضابط، وإنما يترك لقدرة المتكلم اللغوية ومزنته البلاغية، ويفهمه المتلقي اعتمادا على سياق الكلام وقرائنه. والآخر اصطلاحى أو قياسي مضبوط بضوابط وقواعد محددة، فلا يختلف في استعماله أحد .

ومن أمثلة المطلق الذي لا ضابط له: الاستفهام الذي يخرج عن معناه الحقيقي، كقوله تعالى: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ) البقرة/68، والنداء الذي يخرج عن معناه الأصلي أيضا كقولنا: يا الله أو يالك ... وكقولنا: لله در فلان، وسبحان الله، وأمثلة هذا النوع كثيرة لا حصر لها.

أما النوع الاصطلاحى المحدد بقوانينه و ضوابطه، فله صيغتان اثنتان، ما أفعله وأفعل به (حسن، دت، 340/3 ، 341). وإنما لزم فعل التعجب لفظا واحدا ولم يصرف إلى غيره ليبدل على التعجب، لأنه لو تصرف لكان كسائر الأخبار ، وما كان كغيره لا عجب فيه .

ويلزم فعله صيغة الماضي لأن التعجب يكون مما وقع وثبت، وليس مما يمكن أن يكون أو لا يكون، لأن الذي لم يقع واقع في علم الغيب، وما لم تعلم حصوله لا تستطيع التنبؤ بإثارته.

والتعجب واحد من الأساليب العربية التي ذهب نحاتنا إلى تأويلها، حتى تتناسب مع التراكيب الإسنادية المشروطة لسلامة الكلام، فقولك: (ما أحسن عبد الله) بمنزلة قولك:

(شيء أحسن عبد الله أو جعله حسنا)، ثم دخل هذه العبارة معنى التعجب بزيادة (ما) (سيبويه، دت، 72/1) وزيادة (ما) في التعجب دون غيرها راجع لكونها في غاية الإبهام، والشيء إذا كان مهما كان أعظم في النفوس، لما يحتمله المهم من أمور كثيرة (الأنباري، 1995، 115).

ورد التعجب بالصيغة القياسية في قوله (وغليسي، 1995، ص 95):

مَا أَوْسَعَ الْجُرْحِ يَا بِسْكَرَةَ !

فالشاعر في هذا البيت يناجي مدينة بسكرة، متعجبا من سعة الجرح بالصيغة (ما أفعل)، ورغم أن علماء اللغة يتفقون على حصول معنى التَعَجُّب إذ اجتمع معنى الاستعظام والحيرة مع خفاء السبب، إلا أننا نكاد نجزم أن الشاعر في هذا السياق وغيره من سياقات التعجب التي ضمها الديوان -محل الدراسة- لا يجهل سبب حيرته، واستعظامه لسعة الجرح، فهو يعرف تماما أن الجراح التي ولدت للصفصافة أوجاعها إنما هي جراح الوطن، فوغليسي شاعر عاش فترة العشرينية السوداء بكل آلامها وجراحها، وبكل دمائها وسوداويتها، تمكن من خلال خطابه الشعري أن ينقل تأوهات الوطن خارج حدود الجزائر.

ونجد النمط نفسه في قول الشاعر (وغليسي ، 1995 ، ص95) :

مَا أَقْصَرَهُ!

وقوله (وغليسي، 1995، ص95):

مَا أَضْيَقَ قَلْبِي!

وفي هذه الصيغة من التعجب يؤكد الشاعر حيرته، وحزن قلبه
وأسأه، من واقع الوطن الجريح، ما جعل القلب يضيق، لأن هذا
الواقع قد فاق التوقع والمحتمل.

ولم يرد في شعر وغليسي إلا هذه الصيغة القياسية (ما أفعل)، أما
التعجب بالأساليب المطلقة فلم يرد في ديوان (أوجاع صفصافة)
البتة.

لكننا نجد من أسلوب التعجب في هذا الديوان ما لم يكن أصلا في
الدلالة عليه كقول شاعرنا (وغليسي، 1995، ص34):

أَغْدًا تُسَافِرُ دَهْشَتِي

أَغْدًا تَعُودُ بَرَاءَتِي

أَغْدًا تَعُودُ حَلِيصَتِي

وقوله (وغليسي، 1995، ص21):

أِهْ وَأِهْ يَارْفَاقِي! مَا...؟ وَمَا.. مَاذَا جَرَى؟ أَتَوَقَّفْتُ نَبْضَاتِي

وقوله أيضا

وَأِهْ! أَمَا الصَّفْصَافُ.. يَجْمَعُ شَمْلَنَا

أَمَّا الرَّبُّوَةُ الْخَضْرَاءُ..؟ أَمَّا مَاءٌ وَادِينَا

فالشاعر في كل هذه النماذج لا يسأل بحثا عن الجواب، لكنه يسأل تعبيرا عن دهشة تغمره، وحيرة تنتابه، حيث إن الاستفهام في هذه الأبيات قد خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى التعجب كدلالة استلزامية تفهم من سياق الكلام ومقام المتخاطبين.

ولعل أساليب التعجب في شعر وغليسي بكل صورها وأنماطها، وعلى قلتها إنما جاءت لتدل على أمر واحد لا ثاني له، هو تعبير الشاعر عن كل مظاهر الحزن والأسى، وسعة الجرح الذي يعانیه كما يعانیه الوطن. فهو الحيران المتألم والمندهش المتأزم.

الرجاء: يتم هذا الأسلوب بحرف واحد هو (لعل) و فعلين: عسى واخلولق. ولم يرد الرجاء في ديوان وغليسي إلا في قوله (هزج) (وغليسي 1995، ص 18):

أَطُوفُ بِكَعْبَةِ الذِّكْرِى عَسَى التِّذْكَارِ يَشْفِينِي

مستعملا الفعل (عسى) الذي دخل على جملة اسمية، ومستعملا الأداة (لعل) في قوله (وغليسي 1995، ص 53):

أَظَلُّ هُنَا وَاقِفًا تَحْتَ الظَّلَامِ

لَعَلَّ الْيَمَامَ يَعُودُ إِلَيَّ غَدًا

فِي شَكْلِ ذَاكَ الْحَمَامِ !!

ليكون الرجاء في النموذجين مبنيا على أنماط الجملة العربية المألوفة، ومسوقا على صيغها المعروفة، موظفا الحرف والفعل.

ودلالة الرجاء في النموذجين لا تخرج عن المقاصد الدلالية التي جاء من أجلها ديوان أوجاع صفصافة، حيث عبر الشاعر من خلاله عن آلام الصفصافة وأوجاعها في رمزية بالغة القيمة عن آلام الوطن، وجراحه، فكان الرجاء في هذا الخطاب الشعري رغم قلة نماذجه خادما للمعنى العام صانعا لبعض دعائمه، من حيث إن الشاعر يتذكر الماضي، ويرجو عودته.

خاتمة:

تمحورت هذه الدراسة في الوقوف على التراكيب الإفصاحية من ديوان أوجاع صفصافة للشاعر يوسف وغليسي، بالوصف والتحليل والنظر في بنيتها النحوية للوصول إلى بنيتها الدلالية، وقد خلصت إلى جملة نتائج، بيانها كالاتي:

- تكشف الدراسة النحوية للتراكيب اللغوية عن أنماط تشكلها، وصور بنائها.

- تساهم دراسة البنية التركيبية دراسة نحوية في كشف المقاصد والدلالات، نظرا لما بين اللفظ والمعنى، أو بين الشكل والدلالة من صلة وطيدة تتجلى في وضوح مقاصد المتكلمين وغاياتهم.

- يحفل ديوان أوجاع صفصافة بالتراكيب الإفصاحية ذات الوظيفة الانفعالية المعبرة عن تعجب الشاعر، أوجاعه.

- لم يرد التعجب في ديوان (أوجاع صفصافة) إلا بصيغته القياسية (ما أفعل)، ومرد ذلك إلا أنها أظهر الصيغ في الدلالة على معنى

التعجب. كما توفر ديوان الأوجاع على بعض التراكيب الاستفهامية التي كانت دلالتها الاستلزامية تعجبيةً.

- جاء أسلوب الترجي في الديوان مبنيا وفق التركيب الجملي المعروف في اللغة العربية، موظفا الحرف (لعل) والفعل (عسى)

المراجع:

القرآن الكريم

1. الأنباري، أبو البركات (1995) أسرار العربية، تحقيق فخر صالح قداره، بيروت: دار الجيل.
2. ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال (1999) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد معي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية.
3. وغليسي، يوسف (1995) أوجاع صفصافة، الجزائر: دار إبداع.
4. حسن، عباس (دت) النحو الوافي، مصر: دار المعارف.
5. أبو موسى، محمد محمد (1987) دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، القاهرة: مكتبة وهبة.
6. سيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (دت) الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل.
7. عبد الرحيم، عبد الجليل (1981)، لغة القرآن الكريم، الأردن: مكتبة الرسالة الحديثة.
8. عتيق، عبد العزيز (دت) علم المعاني، البيان، البديع، بيروت: دار النهضة العربية.
9. ابن فارس، أبو الحسين أحمد (1964) الصحاحي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى السويحي، بيروت: مؤسسة أ. بدران.

10. الصيمري، أبو محمد عبد الله بن علي بن إسحاق (1982) التبصرة و التذكرة، تحقيق فتحي أحمد مصطفى علي الدين، دمشق: دار الفكر.
11. القزويني، الخطيب (د.ت) الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت: دار الكتب العلمية.